



By. asmaa abu khadij



أنيب القلب

نوفيللا

أسماء صلاح أبو خلف

أنيب القلوب



أنيب القلوب

أسماء صلاح أبو خلف

تصميم غانم وود خلد: أسماء أبو خلف



أسماء أبو خلف



إهداء

إلى الأرواح التي تأن ألمًا

النفوس المعذبة

المتلحفة بظلام الليل

إلى الذين يعانون وحدهم لا يشعر بهم أحد.

إهداء إلى الصابرين.



3/3/2013

في غرفة صغيرة بمنزل في أحد الأحياء
الشعبية بالإسكندرية المطلة على بحر المكس،
وقفت شاردة تنظر للبحر، تراقب أمواجه
الهائجة متسائلة إلى أين ستأخذها أمواج
حياتها البائسة؟

سالت دموعها وهي تتذكر وفاة والديها منذ
خمس سنوات وتركهم لها وحيدة ، تحارب
الحياة ومصائبها ..

كم تغيرت حياتها وتبدلت! فقد تركت مدينتها
وأنت للإسكندرية لتعيش مع عمها وزوجته،
الذي أقنعها بالمكوث عنده؛ فكيف لشابة
مثلها أن تسكن وحدها!



ربما الوحدة أفضل من مودة الأهل الزائفة.
لم تكن تعلم أن عمها يطمع في معاش والدها
وأن زوجته المصون تحتاج خادمة لتقوم عنها
بأعمال المنزل.

ولم يكتفوا بهذا بل سلبوا راتبها لينفقوه على
ابنهم المراهق الوقح، أقشع بدنها متذكرة
نظراته الراجبة بها، ليست حمقاء كي لا تدرك
معنى نظراته الخبيثة.

هل يجب عليها العودة للقاهرة حيث بيت
عائلتها؟ كيف ستكون حياتها وحدها؟
كيف سينظر لها الناس؟ هل ستكون بأمان! بل
هل هي بأمان هنا ببيت عمها الموقر! تساءلت
ساخرة.



تمنت لو تتزوج و ينتهى هذا الكابوس، وكم
خابت أمانيتها!

فها هي تخطت عامها الثلاثين بشهور، ولم
يتقدم لخطبتها عريس مناسب؛ جميعهم كانوا
حمقى؛ من يريد الزواج بها لأنها تعمل، ومن
يريدها أن تترك العمل، ومن يريد من أمه أن
تتفحصها، كأنه يعاين البضاعة!

ظنت أن عمها يجلب هؤلاء الخطاب لأنه واثق
أنها سترفضهم.

استغفرت ربها لقتوطها وعدم رضاها عن
حياتها وسألته أن يرضيها

أفاقت من شرودها على صوت زوجة عمها



نعمة وهى تقول بتأفف: هل ستظلين واقفة
عندك للأبد، تحركي قليلا وساعديني في
تنظيف المنزل وتحضير الطعام

_ أي تنظيف وطعام في هذا الوقت! أتعلمين
كم الساعة إنها. .

قاطعتها نعمة: أعلم أننا منتصف الليل، لكن
عليك أن العمل الآن فأنت صباحًا ستذهبين
للعمل ويبقى المنزل متسخ ، ومن يطبخ الغداء
لعمرك! لذا ابدئي الآن حتى لا تتأخري عن
النوم فتذهبين للعمل متأخرة.



تجمعت الدموع بأعين أنين، أبت أن تبكى كما
لم ترد على زوجة عمها فلن يتغير شيء
بحديثها سوى أن تُسمعها كلمات مسمومة
تذكرها بأنها ضيفة ثقيلة ويجب عليها أن تعمل
جاء عيشها معهم.

بعد ساعتين من التنظيف والطبخ، تمددت أنين
بتعب على سريرها، لكنها ابتسمت علّ ابتسام
وجهها ينتقل لروحها.

كم أشبه سندريلا!

لكن ليس هناك أمير، أو حتى فئران وساحرة.
وضعت يدها على فمها ضاحكة من تفكيرها
الطفولي.



وحاولت النوم، لم تمر عدة دقائق حين شعرت
بأحد يفتح باب غرفتها ببطء كأنه يتسلل،
أغمضت أعينها بخوف ولم تستيقظ، حتى
شعرت بيد تقترب منها وترفع عنها عباؤها
البيئية وتتحسس ساقتها فصرخت صرخة
أفزعت الغافلين في الغرفة المجاورة.

هي من دعيتي لغرفتها قالها أدهم ببرود
نظرت له أنين بصدمة وما زال جسدها يرتجف
وقالت بتلعثم وبكاء: بل هو، هو من أتى
وحاول .. أن



قاطعتها نعمة بحدة: لم ترمين بلائك على ابني،

يا لك من خبيثة! ألا تستطيعين الانتظار

للتزوج، كما أنه يصغرك بكثير.

_ عمى أنت تصدقني، أليس كذلك؟ هو من

كان يتحرش بي. قالتها باكية

ردت عليها نعمة بحدة وصوت عال: اصمتي،

ابني لا يفعل ذلك أبدا أكيد أنت من أغريته

وحين لم يستجب لك، اختلقت تلك الفضيحة

حتى لا يُكتشف أمرك.

نظرت لها أنين بصدمة وتهاوى جسدها على

الأرض، فلم تعد قدميها تحملها.



ابتسم لها ادهم بسخرية، فنظرت لعمها

بتوسل ترجوه أن يدافع عنها.

نظر عمها لابنه وعلم أنه ليس بطبيعته؛ لا بد
أنه تعاطى المخدرات ثانية، هو يعلم أن ابنة
أخيه بريئة ولن تفعل ذلك قط، لكنه رفض قول
ذلك صراحة.

فقط قال بجمود: أنين ادخلي غرفتك

وأغلق الباب عليكِ نظرت له أنين بصدمة لم

لم يدافع عنها أو يضرب ابنه؟ لم لم يزر

زوجته ويخبرها ألا تدعي عليها بالباطل؟

وقفت وذهبت لغرفتها وصل لمسامعها تحذيره

لابنه: ألا يقترب منها، وأنه لا يريد أن يراه

قرب غرفتها.



أحكمت إغلاق بابها، وظلت تبكي طوال الليل،
شعرت باختناق، أحرقت الدموع عينيها، وقفت
صرخة متألّمة في حلقها عاجزة عن إطلاقها.

لم تعلم أي شعور أكثر مرارة أن تتيّم فجأة
فتصير وحيداً بلا أهل أو مأوى، أو أن تجد أهل
ينهشون لحمك، ويغتصبوا ما تبقى من روحك!

على ماذا تبكي؟ هل تبكي والديها، أم عمها
الذي نسي أنها من دمه واستغل قرابته
ليستولى على دخلها البسيط، أم كرامتها
المهانة على يد زوجة عمها وابنه

أو تبكي أحلامها بزواج مناسب بعد أن تخطت
عامها الثلاثين، فصارت عانس كما تلقبها
زوجة عمها.





هل شعرت يوماً بالغرق دون ماء؟ هذا هو شعورها تمامًا، هي تغرق، تختنق تبحث عن السطح لتخرج رأسها تريد أن تتنفس، لكن لا يوجد سطح، فقط عمق والكثير من الظلام. الأمواج تطيحها من كل جانب، يتزاحم الماء على صدرها، ببطء تهدأ نبضات قلبها وتزداد حدة أنفاسها محاولة النجاة، لكن ما من سطح لتتجو وما من يد تمتد لها تنقذها من الغرق، فقط وحدة وظلام وألم الاختناق يزداد ببطء، لم لا تموت الآن فينتهى عذابها!

هذا ما فكرت به قبل أن تغفو من شدة التعب وكثرة البكاء.



ما نراه في أحلامنا هو بالتأكيد ما نتمنى أن
يحدث لنا، قالتها أنين بصوت خافت وصل
لمسامع صديقتها التي سألتها:- وبم حلمتِ
أنتِ؟

تتحننت أنين بخفة وقالت تخفي توترها : هكذا
فقط خطر على بالي.

ابتسمت لها ميرفت بمودة قائلة : أرجو أن
تكون أحلامك جميلة وواقعة أجمل.

بادلتها أنين الابتسام وهي تفكر أي واقع
أجمل! فواقعها أبشع من الكوابيس، من بعد
تلك الليلة الحالكة، أصبحت تخاف من مجرد
دخولها دورة المياه، تغلق باب غرفتها بإحكام،
تجلس في الظلام طوال الليل، تراقب بخوف
مقبض الباب.

امتنعت عن الحديث مع زوجة عمها، تفعل ما
تريده منها دون نقاش، أصبحت الكوابيس
تلاحقها، حتى تفاجأت من هذا الحلم الغريب؛
كانت ترتدي فستان عروس، وقفت مبتسمة
باضطراب، لكنها فرحة وحولها المباركين ومن
بينهم عمها وزوجته؛ كانت نظرتهم غريبة
نحوها بها شيئاً من الأسف والندم!
انتبهت على صوت ميرفت المرح: من أخذ
عقلك يا شابة، هنيئاً له.

كفاكِ ميرفت فأنت تعلمين ما أنا فيه.

وضعت ميرفت يدها على كتف أنين مواساة لها
قائلة بحزن لحال صديقتها : سيفرجها الله
عليك، وسترين كم أن فرجه قريب، ورحمته
واسعة.

_ الحمد لله، أنا راضية بما كتبه الله

عليّ، أحيانا أفكر أن الله يحبني لذلك يبتليني
ليظهرني من كل الخطايا التي ارتكبتها، أو أنه
يختبرني ليعلم كم أحبه، أتعلمين أكثر ما أخشاه
ألا أكون على قدر الاختبار أو أجزع فلا أصبر.

_ لكني ما رأيك إلا راضية صابرة، لا تشقي
على نفسك.

_ لأنني كلما شعرت بالقنوط وعدم الرضا، وكلما
نفدت طاقتي أتذكر قوله : ((وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ)) . (آل عمران-146)

وأسمع قول "علي بن ابي طالب" سأصبر حتى
يعجز الصبر عن صبري، سأصبر حتى ينظر
الرحمن في أمري" إن كان جزاء صبري الجنة

وحب الله فلم لا أصبر! فالحياة مهما طالت فهي
قصيرة والآخرة خير وأبقى.

_ ما هذه الخطبة الرائعة عزيزتي، بارك الله
فيك وأكثر من أمثالك

_ آسفة ميرفت، أوجعت رأسك، لقد كنت بحاجة
لسماع نفسي أقول ذلك.

ضربتها ميرفت بخفة قائلة: لم تتأسفين يا
بلهاء، نحن أصدقاء، من الطبيعي أن استمع
لك، كما أنك تعطيني الكثير من الطاقة
الإيجابية.

_ أنتِ الشيء الجميل في حياتي ميرفت، بارك
الله لي فيك،



يا إلهي! قلبي الصغير لا يتحمل، هيا انتهت
استراحة الغداء.

"السلام عليكم" ألقته أنين عند دخولها لمنزل
عمها، ابتسمت لجارتها التي أشارت لها لتأتي
وتجلس معها قائلة: أنين يا بنيتي، هناك من
تقدم لخطبتك، سألني عليك وأخبرته عن عمك،
وهو يريد أن يراك اليوم إن أمكن.

ابتسمت أنين وكادت تجيبها لكن ابتسامتها
الخبولة تلاشت ليحل محلها ابتسامة انكسار
حين أكملت جارتها تصف لها العريس: هو
شاب مهذب، متعلم، والداه متوفيان وهو
وحيدهما، أي ليس له أخوة، يعمل مدير بأحد
المراكز الحكومية، لكنه يكبرك بعشر سنوات،
تلججت مكلمة: كما أنه مطلق.

هل عليها التخلي عن شروطها في زوجها؛ هل
لأنها بلغت الثلاثين من العمر عليها أن تقبل
برجل تزوج من قبل، نهيك عن فرق العمر،
لكن لم تظلمه قد يكون رجل جيد ويستحقها، لا
يعيبه كونه عاش تجربة زواج فاشلة، أما
لفرق العمر فليس بكبير جدا، تذكر أنه نفس
الفرق بين والديها، ملئت نفسها بالأمل
والإيمان لعله يكون عوضاً لها عما عاشته.
أومات بابتسامة قائلة: حسنا عمتي، سأستعد
لمقابلته اليوم، ليقدم الله لنا الخير .

غادرت لغرفتها متجاهلة نظرات زوجة عمها
الحاقدة.

دلفت للصالون حيث ينتظرها العريس، سمعت
حديثه مع عمها، ألقت على الجالسين السلام

وجلست، بينما اختلس هو النظرات إليها،
نظرت أرضاً، وجنتيها كادت تحترق من
الخجل.

رفعت رأسها تنظر لعمها الذي حدثها قائلاً:
سأترككم قليلاً، لتحدثوا.

وذهب تاركاً إياها وحدها، تمنيت لو توقفه فهذا
لا يجوز.

أفاقت من شرودها على صوته القائل: كيف
حالك أنين؟

رددت أنين بصوت مكتوم بينما تفرك أصابعها
قائلة: بخير، الحمد لله، وانت؟

ابتسم على مظهرها المحبب، فكر كم هي
خجولة وهذا أسعده، لكنه أراد سماعها



تتحدث، لهذا قال: أنا بخير، أليس لديك أي

سؤال؟

_بلى، لدي..

ثم صمتت

فقال متعجبًا : إذن؟ اسمعك

_ لقد نسيتها

لغنت نفسها مئة مرة وهي تسمع ضحكته،

كيف تقول ذلك؟!

توقف عن الضحك حين لاحظ ارتباكها،

- لا داعي للارتباك، سأجيب كل أسئلتك وإن لم

تسألها حقًا، لكن انظري لي قليلا، هذا حقك.



رفعت رأسها بتردد فابتسم لها قائلاً: هكذا
أفضل، أعرفك بنفسي أنا معاذ عثمان خريج
كلية تجارة أعمل مدير للحسابات في شركة
"....." أبلغ الأربعين من عمري، لدى منزل
بسيط قريبكم هنا، مطلق، يمكنك القول أننا لم
نتفق، والداي توفيا السنة الماضية، أصلي لكن
ليس دائماً وإن شاء الله أواظب، وإن وافقت
علي أريد الزواج سريعاً، فلا شيء يجعلنا
ننتظر فأنا جاهز وأعرف كل شيء عنك.
ضحك مستكملاً: جارتكم لم تقصر، أخبرتني
قصة حياتك تقريباً، وأعلم عن عملك ولن
أمنعك عنه، إلا إذا أردت أنتِ، وإن أردت وقت
أطول كخطوبة وتعارف لا بأس، لك ما تريدين،
وهذا كل شيء .



ظلت تستمع له بتركيز، معجبة بثقته بنفسه،
وكلماته المرتبة، مظهره لا بأس به بل في
الحقيقة هو وسيم، حديثه أراحها بقدر ما
حيرها! تمنيت لو تعرف سبب طلاقه لكنها
منعت نفسها من سؤاله، يبدو أنه لن يخبرها.
رغم أنها تستشعر صدق حديثه إلا أنها تشعر
بشيء غير مريح، تجاهلته، فربما بسبب
خجلها وارتباكها، لا تتكر أنه أفضل من تقدم
لخطبتها.

أفاقت من شرودها على سؤاله: بمَ شردتِ؟

أجابته بصدق: كنت أفكر في كلامك.

ابتسم قائلاً: تعجبنى صراحتك

إذن ما رأيك؟

أجابت قائلة بخجل: أريد أن أفكر قبل إخبارك
بقراري.

ابتسم قائلاً : خجلك جميل.

زاد وجهها توهجاً و نظرت له بصدمة أيتغزل
بها الآن!

تتهد قائلاً بتوتر : اعذريني، لم أستطع منع
نفسي، فأنت جميلة جداً

عند سماعها لجملة الأخيرة أرادت الاختفاء
من أمامه.

ضحك قائلاً : آسف، لا أقصد إزعاجك.

ابتسمت ووقفت قائلة: سأخبر عمي انك تريده

قال بسرعة: انتظري، معك هاتف؟



أومات برأسها فقال: أرني إياه.

ناولته هاتفها بتردد

فوضع رقمه وحفظه لديها ثم أعطاها إياه

وابتسم قائلاً: معك رقمي إن احتجتِ لشيء.

أومات بخجل وخرجت من الغرفة دون إضافة

كلمة واحدة.

"أدمنت أحزاني

فصرت أخاف ألا أحزن

وطعنت ألقاً من المرات

حتى صار يوجعني، بالأأطعن

ولُعِنْتُ في كل اللغات.



وصار يقلقني بالألأ العن
ولقد شنقت على جدار قصائدي
ووصيتي كانت بالألأ أءفن.
"نزار قباني"

مر ثلاثة أيام وما زالت أنين تفكر، هل تقبل
الزواج من معاذ، اسمه جميل، بءى رجل
محترم، هي لا تتكر أنها متخوفة قليلا من سبب
طلاقه، شعرت بالغموض حوله، هناك قبضة
في قلبها لا تدري أسبب توترها وخوفها؛ أهو
أمر عاءى أم أنها إشارة لرفض تلك الزيجة؟

..

تهدت بخفوت وقررت أن تتوضأ وتصلي
ركعتين استخارة، ليرشدها الله لم هو خير لها..

أثناء خروجها من دورة المياه تفاجأت بيد
تعتصر معصم يدها، فصرخت بجزع وقبل أن
تلتفت، ألقى بها بوحشية على السرير وحاول
أن ينقض عليها.

لكن هل من يملأ الإيمان قلبها، ويكون الله في
عونها، يستطيع أحد إيذائها، كلا، لا والله ، أنه
خير حافظ.

توقف، ابتعد عنى يا أدهم ، عمي، عمي،
عمتي .. صرخت بها مستنجدة.



ضحك أدهم قائلاً بابتسامة خبيثة وصوت يشبه
فحيح الأفعى: لا يوجد غيري و غيرك هنا، يا
ابنة عمي الغالية، لذا اصمتي ودعيني أتناولك
في هدوء،

غمز لها بعينه قائلاً: سيعجبك ما أفعله.
تجمدت تعابير وجهها، وسكن قلبها الخوف.
عَظُم الألم بقلبها الذي انسحبت دقاته تدريجياً،
نظرت له بجمود خائف وعين دامعة أهدأ ابن
عمها يحاول هتك عرضها! أليس من المفترض
أن يحميها، أليس هذا بيت عمها الذي لجأت
إليه ليحميها من شر الناس بعد ترك والديها
لها! تأوهت من الألم، من الخذلان، العجز،
اليتم! صرخت مستنجدة، وهو.. يقترب أكثر
قيد حركتها وكاد يقبلها لكنها فجأة استعادت



صلابتها، إيمانها بأن الله يحفظها، رددت

متوسلة "لا حول ولا قوة إلا بالله"

ركلته بحدة أسفل بطنه وجرت تحاول فتح باب

المنزل فلحق بها، لكنها فتحته وأسرعت تنزل

الدرج دون الالتفات لذلك الذئب البشري الذي

يلحق بها، سمعت صرخة تأوه صدرت منه

التفتت له لتجده يتلوى على الأرض ممسك

بقدمه، نظر لها بشر حاول الوقوف، فجرت

بعيدا عن المبنى، ظلت تسير حتى وصلت

لشاطئ البحر، جلست على أحد المقاعد

الموجودة أمامه ودموعها تجري على وجنتيها

لا تتوقف، صرخت حتى نظر لها الناس من

حولها لكنها لم تأبه، أخرجت غضبها، خوفها،

آلامها، خذلاتها، صرخت بكل ألم عاشت به،



قالت يا الله بحرقه، تسأله لم، ولماذا أنا،
وعادت تستغفر، بكت عينيها، نرف قلبها
وانتفض بدنها في هلع، رددت آيات الله لتهدأ،
سألته الرحمة، فقط الرحمة بقلب أنتهكت
سعادته في غمضة عين، موت والديها المفزع،
وما آلت إليه حياتها!

يا رب نطقت بها بقلب مكلوم وأنفاس ضائعة
ونفس خائفة تبحث عن الأمان.

فكرت ماذا عليها أن تفعل؟ هي لن تعود لهذا
البيت، قد يكون الشارع أكثر أماناً! اتصلت
بصديقتها ميرفت واستقبلتها الأخيرة بابتسامة
مشفقة وقلب حاني، دون أن تسأل أي سؤال
ينهش الألم بقلب صديقتها، احتضنها وبكت
معها بعدما أفرغت أنين ما في قلبها وروت لها



ما حدث، وأبت الصديقة الوفية أن تتركها،
ظلت تحتضنها وتخفف عنها وتقرأ آيات القرآن
بهدوء فأراح قلبها كدواء لأوجاعها حتى
غفت.

لا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس عليك ولا
رخاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ..فأنت ومالك الدنيا

سواء"

"الشافعي"

ها هو يجلس ببیت صديقتها، لا يفهم ما حدث
معها، أخبرته على الهاتف أنها موافقة بعد أن
سأله إن كان ينتظر ردها، تسارعت دقات
قلبه، واتسعت ابتسامته بوميض حب في
عينيه، هو يحبها، كان يتابعها منذ أشهر؛ منذ
أن لمحها تجلس شاردة أمام مكتبها في



الشركة التي تعمل بها وصادف وجوده لرؤية
صديق يعمل بنفس المكان وبمجرد أن وقعت
عيناه عليها حتى استفزه هدوءها المستكين،
شرودها ولمحة الحزن الممزوج بأمل أو ربما
إيمان بعينيها وكأنه يسمع معزوفة حزينة
هادئة تتبعث منها، ومن وقتها وهو يلاحقها
دون أن تنتبه يريد أن يتأكد من شيء، مشيتها
العسكرية كأنها تقول لا تقترب، لابسها
الفضفاض، ملامحها الهادئة، بسمتها الدافئة،
كل هذا علق بذاكرته، يبتسم لمجرد التفكير
بها، ويشتاق لرؤيتها، علم أن اسمها أنين
واستنكره بشدة هذا الاسم لا يليق بها، اعترف
لنفسه أن حبها تمكن منه؛ طلب يديها أراد أن
يربط اسمها باسمه، دعا الله كثيرا أن تكون له.



حلاله وربما تعويضه، واستجيبت دعواته
بمجرد أن نطقت بالموافقة تنهد براحة وابتسم
بسعادة، تلاشت وحل محلها القلق والتوجس
حين سمع صوتها الحزين وهي تكمل أنها ما
عادت تعيش بمنزل عمها! وأنها ببیت
صديقتها، أعطته العنوان، قلق عليها كثيرا،
أراد أن يطمئن أنها بخير.

أفاق من بحر أفكاره على سيرها الهادئ نحوه
وجلوسها على الأريكة المقابلة له ألقى السلام
ولم تتحدث بل علقت بصرها بلا مكان محدد،
بينما هو يدقق في ملامح وجهها الحزين وهاله
ما رآه، يمكنه أن يشعر بالألم الذي يسكن
بحنايا روحها، أوجعه قلبه، يا الله لم تتحمل
تلك الرقيقة هذا الألم، علم أن الخطب جل،



رغم عدم حديثها لكن يكفيه النظر لعينيها التي
تحمل الكثير والكثير من بداخلها الذي يخفي
لمحة الأمل الضئيلة في البعيد هناك، لكنه
سيتمسك بها سيكون ضوء لعتمتها، يعلم أنها
غير سعيدة ببيت عمها فقد نقلت له جارتهم
بصورة غير مباشرة عن معاملة زوجة عمها .
تهد بخفوت ينتظر منها أن تتحدث تخبره ما
بها لكنه ينهر نفسه، هي لا تعرفك يا أبله! لم
تخبرك عنها، هي لا تحبك كما تحبها
أنت! لمعت عيناه بإصرار سيجعلها تحبه،
وسيقتم حياتها وقلبها الواسع ليكون مسكنه

..

أنين .. ناداها بابتسامة حنونة



فنظرت له وتلاقت أعينهما، تسارع نبض
الغواد وتوقف اللسان إجلالا لحديث العيون،
منها ألم وخوف ضياع وأمل ترجوه بصمت ألا
يخذلها ومنه رد بوعد، وعد بالحب، التفهم،
والاحتواء، وعد بالأمان الذي تحتاجه هي
كثيرا.

أنين كيف حالك؟ كرر ثانية فتحررت من أسر
عينيه قائلة بخفوت: الحمد لله

فابتسم مفكرا، قوية هي رغم الألم، وشاكسها
قائلا: ألن تسأليني نفس السؤال؟؟

توترت، خرج صوتها ضعيفا بالكاد سمعه وهي
تسأله عن حاله فأجاب بصدق: إن كنت بخير
أنا كذلك.



زاد توترها لكنها ابتسمت، ثم ما لبثت وعادت
لشرودها فسألها مترددا : ماذا حدث؟ لم تركت

بيت عمك؟

ارتجف جسدها وامتلات عينيها بالدموع فلعن
نفسه سرا، تمنى أن يزيح عنها أوجاعها،
انقبض قلبه بروية دموعها، كاد يتحدث حين
سمعها تجيب بخفوت وهي تنظر بعينه قائلة:-
تساجرت مع ابن عمي ولن أعود لهذا المنزل.
صمت يفكر ما سبب هذا الشجار؟ الذي جعلها
تترك منزلها؟ لكن لا يهم، المهم أنها أمامه
وهي بخير وستكون له حلاله وزوجته
وسيعوضها عن كل ذرة ألم عاشته، ابتسم
لخيالاته السعيدة ، فاستكرت ابتسامته وحدثت
نفسها متعجبة " هل هو أبله أم ماذا؟ أقول



تركت منزلي وتشاجرت وهو يبتسم!" وكأنه
سمع سؤالها ، فتحمم قائلاً بخجل : أعتذر
منك، لو تعلمين كم أنا سعيد بموافقتك، أنا لن
أسألك ما الذي حدث؟ ولن أستفسر عن شيء
أنا أريدك، أريدك فقط حلالاً وحينها
ستخبريني كل ما تخفيه عيني، وأعدك أن
أفعل كل ما بوسعي لإسعادك، سأبذل نفسي فقط
لك، أنتِ تستحقين السعادة أنين، تلك العيون لم
تخلق للبقاء، اسكني إلىّ وسأكون لك مأوى
من العالم، لن أخبرك بأني أحبك ولن أعطيك
المزيد من الوعود، أنا لك غريب ولكني رجل
وكلمة الرجال وعود، سأعاملك بودٍ ورحمة ولا
أريد منك إلا ابتسامة، يضيع بها شقاء يومي.



كانت تعلم أن الكلمات كالرصاصة قد تقتل
متلقيها، فكيف بكلماته أصبحت بردا وسلامة
لروحها كأنه بوعده الصادق أعاد النبض
لفؤادها، شعرت أن الحياة رُدت إليها، هل من
الممكن أن يكون هذا فارسها، منقذها وبطلها
الذي طالما حلمت به، وحفظت نفسها لأجله؟
شعرت بتسارع نبضات قلبها حتى خشيت أنه
قد سمعها! لم أحست بانقباض معدتها وكأن
هناك فراشات تداعب بطنها، هل هذا وعد
الرحمان " إن مع العسر يسر " هل أرسل الله
لها هذا الرجل استجابة لصلوات قلبها
المسموم! أتجد عنده الأمان الذي حُرمت منه؟
يا الله ما هذه الحرارة التي تنبعث من بدنها،
شعرت أن وجنتيها تحترق، فوضعت يديها لا



إراديا على وجنتيها تتحسس حرارتهم، تتمنى
لو لا يكون لونها بلون الدم، ماذا فعلت بها
كلمات هذا المعاذ! وكل هذا يحدث تحت عيني
هذا المراقب بابتسامة خبيثة وكأنه يعلم فيما
تفكر؟! فابتسم قائلا: نعم لونها أحمر، ألم
أخبرك في أول لقاء أن خجلك جميل!

نظرت له بصدمة لم هذا الرجل يستمتع
بخجلها؟

استجمعت شتات نفسها وقالت بصوت خجل به
بعض الحزم: أستاذ معاذ هذا الحديث لا يجوز
الآن، فأنت ما زلت غريب

ضحك قائلا: أستاذ؟ آخر مرة سمعت تلك
الكلمة كانت في المدرسة.



ابتسمت

فتحنح قائلاً بجديّة: أنا أسف أنين، أعلم أن
حديثي هذا لا يجوز لكن والله لا أقصد أن أتغزل
بك، فأنا بمجرد أن أراك لا أستطيع التحكم
بلساني فأنطق ما يجول بخاطري دون حساب
لذا لنعجل بزواجنا فأنا لن أقبل أن تكوني بلا
مسكن لوقت طويل

نظرت له بتعجب من هذا؟ لم يتحدث كأنه
يعرفها منذ زمن بعيد، لم تشعر أنه يحبها؟
أيعقل أم أنها تتوهم ربما يكون مجرد إعجاب!
لكن بعينيه شيء جميل أمدّها بالأمان، كان
رجل غيره ليهرب ولا يقبل بها، فتاة تركت
منزل عائلتها وتجلس عند صديقتها بل هي من
تتصل به وتخبره عن موافقتها، لكنه فاجأها بل



صدمها! حتما ستوافق؛ فقد شعرت بصدقه كما
تثق أن الله لن يضيعها، هي استخارت و قلبها
مطمئن لذا ستنطقها وتريح قلب الجالس أمامها
وكأنه منتظر حكم بالبراءة!

_ قبل أن تجيب سمعت سؤاله المتلهف
باسمها: أنين؟

ابتسمت قائلة بخجل : حسن، معاذ موافقة
لنتزوج

وقبل أن يفيق من صدمته بسماع موافقتها
التي زينت بحروف اسمه مجرد من ألقاب
رسمية.. دلفت ميرفت بصخب قائلة: السلام
عليكم، أنا ميرفت صديقة أنين وهذه العجوز
أمي، ضربتها أمها بخفة على ذراعها
وابتسمت لهما أنين بامتنان لتلك العائلة التي

احتضنتها، حياهم معاذ واقفا بينما قالت
ميرفت لندخل في صلب الموضوع: معاذ أليس
لديك أخ لي؟

زجرتها أنين بعينيها بينما أجابها معاذ مبتسماً:
للأسف ميرفت ليس لدي أخوة.

تصنعت ميرفت العبوس وتتهدت قائلاً: حظي
هكذا سيء دائماً ..

ميرفت! صرخت بها أنين بصدمة، فضحك معاذ
قائلاً : صديقتك لطيفة.

ابتسمت ميرفت قائلة : من بعض ما عندكم،
نظرت لهما أنين بغضب .

سألها معاذ بحيرة: أنين ماذا علي أن أفعل
أنت تشاجرت مع عائلتك، كيف سيتم زواجنا؟!



قالت أنين بحدة: ليس لدي عائلة.

صمت معاذ وكم ألمه قولها ونبرة الحزن
والكسرة بصوتها.

فقالت أم ميرفت بلطف: هم عائلتك مهما حدث
أنين، بينكم دم وصلة رحم.

صمتت أنين فقال معاذ: إكراما لأهلك.

_ربنا يرحمهم ويغفر لهم أردفت بها ميرفت.

فقالت أنين بجدية: معك رقم عمي حدثه واتفق
معه على كل شيء وأنا موافقة؛ المهم ألا أعود
لهذا المنزل قالت جملتها الأخيرة بصوت خافت
لكنه سمعها ولم يعلق ..



ابتسم قائلاً وهو يهم بالرحيل: حسناً أنين،
المرّة القادمة التي سأراك فيها ستكونين
حلالي، حتى أتجاوز الحدود بأريحية رفق
جملته الأخيرة بغمزة من عينيه .

فغرت أنين فمها بدهشة قائلة ببلاهة : ماذا؟
بينما زفرت ميرفت قائلة: ألم أقل أن حظي
تعس.

لم تستوعب كيف تتزوج بتلك السرعة! لكنها
وللعجب سعيدة، سعيدة جداً بقدر الخوف الذي
احتل قلبها، نظرت لانعكاس صورتها أمام
المرآة وابتسمت هي حقاً أصبحت جميلة



وبسيطة كما قال. زادت نبضات قلبها متذكرة
آخر مكالمة بينهما.

أنين سيكون زواجنا الأسبوع المقبل اتفقت مع
عمك وهو موافق، وأنت أعطيت كلمتك مسبقا
قالها معاذ بتلهف سعيد

ماذا؟ الأسبوع المقبل أنت تمزح أكيدا! قالتها
مستكرة

آتاها صوته قائلا بحدة خفيفة: أنين أرجوك ثق
بي وستكونين بأمان معي ، كما أنك وافقت
مسبقا، أم يعجبك المبيت في منزل صديقتك،
أسف للتدخل لكن أنا لا أقبل، أنا أريدك هنا
ببيتي، قربي. أخبريني أنك موافقة واريحي
قلبي.



شعرت بالسعادة من كلماته وحرصه عليها،
هذا الغريب الذي غزى حياتها فجأة، واحتل
تفكيرها وفتت حصون قلبها

أنين؟! أفاقت من شرودها فيه على صوته

فأجابته هامسة: موافقة

تتهد براحة قائلا : دقائق ويصلك فستان
الزفاف ارجو أن ينال اعجابك أعلم أن من حقدك
اختياره، لكن أنا رأيتك فيه واشتريته لأجلك،
إن لم يعجبك سنغيره لا تقلق، لكن أنا أعلم أنك
ستحبينه فهو يشبهك، هادئ و بسيط، رقيق
جدا .. صمت وكأنه يفكر ثم قال نعم وشيء
آخر لا أريدك أن تضعي مساحيق تجميل ، أنا
أريدك هكذا كما أراك دائما.



ماذا تقول معاذ! هل هناك عروس لا تضع

مساحيق تجميل؟

نعم أنتِ، أليس حرام أن يرى الرجال زينتك!

صمتت أنين تفكر، كلامه صحيح، هي لا تريد

أن تغضب ربها بمثل هذا اليوم مجرد ساعة لن

تتخلى فيها عن مبادئها .

ابتسم معاذ قائلا: كنت أعلم، أن هذا المبرر

سيقتعك..

هممت أنين وصمتت، وصمت هو أيضا، كل

منهم يفكر في الآخر وحياته معه كيف ستكون؟

هو فرح سعيد مشتاق ويتمنى أن تكون أنين له

العوض من تجربة أليمة مر بها، وهي خائفة

سعيدة لا تعلم كيف يجتمع الخوف مع السعادة!



كيف تشعر بالاطمئنان والأمان ويهاجمها في
نفس الوقت التوتر والخوف! دعت من الله أن
يسعدها.

قاطع رجائها الصامت صوته وهو يقول
بصدق: أنين ستكونين بخير معي.
وها هي ترتدي فستان من اختياره وللعجب إنه
لم يحتاج

تعديل ليناسبها ، وكأنه صمم خصيصا لها،
تمنت أن يعجبه!

قاطع تفكيرها صوت صديقتها المرح
ميرفت: مبارك أنين، أنا سعيدة جدا لأجلك.



أنين بابتسامة ممتنة: شكرا ميرفت، شكرا على
كل شيء وأسفة إن ازعجتك بتلك الفترة لكني
لم أستطع العودة لذلك المنزل.

_ ألم أخبرك أن مكوثك عندي أحب شيء على
قلبي، لقد علقت قلوبنا بكِ وها أنت ترحلين
عروساً جميلة.

_ أتمنى لو كان والداي على قيد الحياة،
يشاركوني فرحتي، اشتقت لهم كثيرا قالت أنين
جملتها الأخيرة وهي على وشك البكاء.

احتضنتها ميرفت قائلة بتأثر: رحمهما الله
أنين، أرجوك لا تبكي الآن. أنا معك وأمي أيضا
ألم تقولي أنها مثل أمك.



قاطعهما صوت أم ميرفت التي صاحت قائلة:
أنين يا بنتي عريسك هنا، هيا اخرجي.

ضحكت ميرفت بسعادة قائلة لأنين التي كاد
قلبها يتوقف من فرط التوتر: هيا أنين، سيجن
بك يا فتاة تبدين كالأميرات وإياك أن تبكي، هذا
يومك، كوني بخير.

متوترة، خجلة، خائفة وأخيرا سعيدة.

وهو ينتظر بتلهف، سعيد مشتاق.

شعرت بنظراته تحرقها نظر لها وكأنه لم يرى
نساء من قبل.



وتأملته هي على استحياء بدلته السوداء
الأنيقة، شعره المهدب، عينيه اللامعة بدا أجمل
من كل مرة رآته فيها..

لاحظ نظراتها نحوه فغمز لها قائلاً: هل أعجبك
ما تريه أميرتي؟

نظرت له بصدمة واشتعلت وجنتيها وقالت
متلعة: أنا.. لم أكن أنظر لك ..

ضحك معاذ وقال مبتسماً: تبدين فاتنة أنين لم
أرى عروس بجمالك يا عروسي.

صرخت ميرفت قائلة: نحن هنا، لا تتغزلون
أمامي وإلا حسدكم، يكفي سنتأخر.

في مسجد مقسم للنساء والرجال.



افترشت الأرض بفستانها الأبيض، وحولها
النساء فريحون بها، ابتسمت لضيوفها، لقد
تفاجأت بوجود جيرانها وصديقاتها من
القاهرة، أتوا يشاركوها فرحتها وزملائها في
العمل وأكثر ما صدمها، حديث زوجة عمها
واعذارها عما بدر من ابنها!
جاءت نادمة ترجو غفرانها فابن عمها أدهم
أصيب بحادث وشلت قدمه.
حزنت لمصابه لكنه جزاء ظلمه! ابتسمت
لزوجة عمها ولم تردها.
بل فرحت بوجود عمها واحتضانه لها فهو من
تبقى من عائلتها.



علمت بعد ذلك أن كل هذا من تدبير معاذ

وميرفت، كم هي محظوظة بهما!

"قد تشعر أنك وحيد، أن كل شيء يسير عكس

التيار، أنك بعمة حالكة، لكن أنظر جيدا تأمل

المكان من حولك هناك دائما نور بحياتك لكنك

تغفل عنه وتفضل العتمة، لو تعلم أن الرضا

بما صابك يجعلك ترى النور بحياتك"

أفاقت من شرودها على سماع صوت معاذ

الذي ردد كلام المأذون.

معاذ أصبح زوجها، تذكرت نصائح والدتها عن

الزواج وحقوق الزوج ومعاملته بالحسنى،

أرادت غلق صفحات حياتها المظلمة وفتح

صفحة جديدة بيضاء معه يلونها معها بألوان

الحب المودة والرحمة كما وعداها.

لا تنكر أن هذا الرجل استوطن قلبها بكلمات
قليلة ونظرات صادقة محبة نحوها جعلتها
تحبه، أحبته بسرعة لكن مثله يحب من أول
لقاء؛ هو رجل والرجال قليلون! يفهمها، كلما
نظرت له شعرت بالأمان والاحتواء، هو من
أضاء عتمة أيامها وهي ستدير حياته بعطائها.

وقفت أمام منزلها الذي لم تراه من قبل!
انتظرت له ليفتح الباب لكن فاجئها وهو يحملها.
نظرت له بصدمة وخجل بينما تنافرت نبضات
قلبها هنا وهناك واستقبلهم هو بابتسامة جذابة
قائلاً: يحق لي حبيبتي، حلمت بتلك اللحظة
كثيراً



توردت وجنتيها وابتعدت عينيها عنه فابتسم

بحب.

ودلفوا للمنزل.

هذا بيتك الآن لكن مسكنك هنا في قلبي قالها
وهو يشير لقلبه فابتسمت له بحب فاستطرد
قائلا بمرح: أنرت بيتك أميرتي وعقب قوله
بإمساك يدها وأخذها لتشاهد منزلها المكون
من ثلاثة غرف كبيرة وصالة واسعة ويحتوي
اثاث حديث، أعجبها كثيرا المنزل، لكنها فكرت
هل هذا نفسه من عاشت به طليقته! وآلمتها
تلك الفكرة؛ خاصة بعدما أحبته.

هي تغار من أخرى سبقتها لقلبه، واتضحت
تلك المشاعر على ملامحها الرقيقة، وفهمها

هو، فأوقفها وقال بينما ينظر لعينيها: لا لم
يملك هذا المنزل ملكة غيرك أنين.

نظرت له بدهشة وتساؤل فتهد قائلاً وهو
يشير للأريكة بجوارها : لنجلس.

نظرت له تريد أن يكمل حديثه، تمننت لو تعرف
سبب طلاقه

لكنه قال موضحاً: لقد كنت أسكن بمنزل آخر
حين تزوجت؛ أما هذا فهو منزل والدي
رحمهما الله اكتفت بقوله ولم تعلق.

_ جائعة؟!!

فأومات برأسها مبتسمة



بعد العشاء صلوا ركعتين واقترب منها مقبلا
جبينها وقال بابتسامة: أنا أحبك أنين.

تسارعت نبضات قلبها ونظرت له بابتسامة
فرحة، نزلت دموع عينيها، كل ما أرادته
يتحقق، هو حقا يحبها لم يكذب حدسها، كم هي
سعيدة لطالما حافظت على قلبها وسمعتها
لتسمع تلك الكلمة بهذا اليوم.

مسح دموعها بأصابعه وقبل موضع دموعها
وقال: لا أريد رؤية دموعك أنين، أعلم أنك
بكي كثيرًا لكني أخذت عهد على نفسي ألا
أجعلك تبكي أبدا.

ابتسمت بخجل قائلة بصوت خافت: هذه دموع
الفرح معاذ



فقال بمرح : إذا ما هو ردك؟

نظرت له بخجل وقالت بتلثم : وأنا أيضاً

_ أنت أيضاً ماذا أنين؟ سألتها ضاحكاً

فأجابته بعبوس لطيف: أنت تعلم

_ لا أنا لا أعلم

فقالت بابتسامة وهي تقبل كفه: أنت النور

لحياتي معاذ، أرسلك الله نجدة لقلبي المستغيث،

أنت جزاء صبري وإيماني.

ابتسم بسعادة وقبل جبينها وأخذها لعالم عامر

بالحب الحلال.



"تلك اللذة الناعمة التي لا يتذوقها إلا من
عاشها بالحلال تنعم بها دون خوفًا أو قلق،
تستحق الصبر، الحفاظ على القلب، النفس
والبدن في انتظارها"

في الصباح الباكر همس بأذنها قائلاً بشجن:
أنين أريدك أن تعلم أني لم ألمس امرأة قبلك
أبداً.

نظرت له بصدمة وفرح هي لا تتكر أن فكرة
زوجها السابق تضايقها، ومعرفة هذا الأمر
جعلها كأنها تحلق في السماء من شدة
سعادتها، تحمد الله على عطائه، ما زال



يفاجئها وينعم عليها، يعلم ما يثقل قلبها
فيزيحه عنها، يقول لأحلامها كوني فتكون.
وكيف لا وهي من صبرت ورضيت والرحمن
يجود بكرمه وعطائه.

لكنها تساءلت ما السبب؟ كيف وقد تزوج، لقد
علمت أن زواجه لم يدم إلا لسته أشهر فكيف؟
ونطقت بجملتها الأخيرة فشرده هو طويلا
متذكرا زواجه الأول وتلك الطعنة الخائنة.
حيث صدمته عروسه باكية فأخذ يهون عليها
ظنا منه أنها خجلة وخائفة



لكنها صفعته بقولها أنها ليست عذراء!
استشاط غضبًا ومنع نفسه عن ضربها بشق
الأنفوس واحترار ماذا يفعل؟ هل يعيدها لمنزل
أهلها؟ ويفضحها ويهتك ستر الله عليها.

لكنها ظلت ترجوه ألا يفعل أن يبقيها معه قليلا
ويطلقها بعدها أو يفعل ما يشاء، فقط يستر
عليها.

وفعل هو، أبقاها معه لشهور، لكنه لم يستطع
أن يقربها أو يبقيها معه أكثر، لم يثق بها،
لذلك طلقها بالمعروف وتمنى لها السعادة بعدما
رأى منها صدق توبتها، ونصحها بالألا تفضح
أمرها إن تزوجت مرة أخرى وأن تبدأ حياة
جديدة.



لكنه بعدها خاف وكره جنس حواء وظل أعزب
حتى بلغ عمره الأربعين وهو لا يفكر بالزواج
مجددا حتى رآها، أنين بهالتها الملائكية فظل
يراقبها يتأكد من عفتها وأعجبه ما رأى، لقد
لاحظ التزامها، فهي مثال للفتاة المسلمة
المؤمنة التي يتمناها فأحبها ولم يتردد في
الزواج منها وحمد الله لعثوره عليها، هي
جوهرته، أنينه.

أفاق من شروده على صوتها المتسائل: معاذ
أين ذهبت؟

ابتسم لها وقبل كفها قائلاً: معك أنين. ل
لكن لا أريد الحديث عن الماضي، فقط أردتك
أن تعلمي أنك أول امرأة بحياتي وآخرهم.

وهذا يكفيها هي لا تريد أن تعلم شيئاً هي تثق
فيه وتعلم أنه صادق

فرح لتفهمها وقال بمرح : هيا، يا كسولة لنأكل
سأموت جوعاً.

تذمرت بعبوس لطيف: لكني أريد النوم.

جلسا في الشرفة يتأملان السماء المليئة
بالنجوم قاطع تأملها صوته القائل: أنين؟

وجهت بصرها إليه فسألها قائلاً: لمَ هذا الاسم
؟ أنه مؤلم! فهمت سؤاله وابتسمت تجيبه:

أمي من اسمتي إياه، كانت تحب هذا الاسم
وتقول أن له إيقاع موسيقي وأنه رقيق، كانت



تدعو لي قائلة: أذاقك الله أنين التائبين وجعلك
منهم، أخبرتني أن "أنين يعني الألم، والألم
قوة، الألم أمل، من يتألم يتعلم، من يتألم لا
يؤلم، الألم تجربة، والتجربة حياة، والحياة دار
ابتلاء، والابتلاء صبر، والصبر جنة"

تمت بحمد الله



لا تحرمونا من مروركم الكريم، وأسعدونا
بآرائكم ونقدكم البناء، لنستمر بكم ومعكم"

على البريد الإلكتروني

asmaasalah152@gmail.com

أسماء صلاح أبو خلف

